

عقول وكفاءات عراقية



عدنان الجنابي*: فاضل الجلبى - مشاهد ثلاثة في مسيرة رجلٍ عظيمٍ

عرفت الدكتور فاضل الجلبى (أبو طليق) بعد عودته من جنيف حيث كان يعمل في منظمة الأونكتاد (UNCTAD) بعد أن عُيِّن مديراً عاماً في وزارة النفط عام 1966، ومن ثم وكيلاً لوزارة النفط.

وعند انتقالي من البنك المركزي إلى شركة النفط الوطنية عام 1967 أخذت علاقتي به والتواصل معه تزداد.

بقيت علاقتي بأخي الكبير وأستاذي فاضل الجلبى منذ ذلك الحين وحتى رحيله في نهاية شهر تشرين الثاني 2019.

فاضل الجلبى ليس أفضل خبير نفطي عرفته على الإطلاق فحسب، بل مثقف عالي الإمام بالتاريخ والسياسة والأدب والموسيقى، وكانت هذه الأخيرة من أهم هواياته المحببة، ويملك مكتبة موسيقية مميزة لمعظم الموسيقيين الكلاسيكيين والمحدثين.

عقول وكفاءات عراقية

لا يَسَعُ الوقت حالياً لاستعراض تاريخ ومواقف هذا الرجل العظيم، ولكن أجد من المناسب أن أسلط بعض الضوء على ثلاثة مواقف كنت شاهداً عليها. وهي ليست أهم مشاهد أو أبرز مواقف أبو طليق، ولكنها مشاهد من شريط طويل وكأنها تقف أمامي وتسرد نفسها من دون غيرها. وقد لا تكون هي الأبرز أو الأهم في مسيرة هذا الرجل.

المشهد الاول

عام 1968، بعد انقلاب البعث الثاني، كان الدكتور فاضل الجليبي، وكيل وزارة النفط، مسؤولاً عن اختيار عدد من الراغبين ببعثات وزارة النفط للدراسات العليا في المملكة المتحدة. وأشرف الدكتور فاضل بنفسه على مقابلة المتقدمين واختار أفضلهم للبعثة. ومن بين من وقع عليهم الاختيار: فاضل عباس مهدي، وعلي خضير مرزا، وسنان الشبيبي، وهاشم العلي، واحمد موسى جباد، وموفق حسن محمود، وأنا، وآخرين لا أتذكر أسمائهم الآن.

كان حردان التكريتي مكلفاً من مجلس قيادة الثورة بالإشراف على الجامعات وأمور البعثات. اتصل حردان بفاضل الجليبي غاضباً من عدم اختيار أي بعثي لبعثات وزارة النفط، وهدد فاضل الجليبي بإزاحته إن لم يغيّر الأشخاص المرشحين للبعثة بأخرين يرشحهم الحزب، وكان الجواب بأن الدكتور فاضل يفضل الاستقالة ويترك المجال لمن يغير المرشحين. وأمام إصرار فاضل الجليبي على اختيار أفضل المتقدمين، عاد حردان وطلب إضافة اسم أحد أقربائه إلى المرشحين. وأصر فاضل الجليبي على اختياره دون تغيير، تغلبت مبدئية فاضل الجليبي على غطرسة حردان!

المشهد الثاني

في مطلع عام 1972 بدأت الحكومة العراقية على التفاوض مع شركات النفط على مطالب قديمة وجديدة للعراق. وكان يملك الشركات العاملة في العراق كل من (B.P) البريطانية و (C.F.P.) الفرنسية و (شل) الهولندية الجنسية وشركات أمريكية (إسو، ستاندرد، ستانكال) وكولنكيان (السيد 5%)، بما يعني ان كارتل النفط العالمي كله تقريباً كان ممثلاً في شركة نفط العراق (I.P.C.).

شكّلت الحكومة العراقية وفداً رسمياً مفاوضاً برئاسة وزير النفط، سعدون حمادي والدكتور فاضل الجليبي وآخرون. وفي نفس الوقت تم تكليف الدكتور فاضل الجليبي بتشكيل فريق عمل سري للاستعداد لتأمين النفط في حال فشل المفاوضات مع شركات النفط.

عقول وكفاءات عراقية

ولم يكن وزير النفط يعلم بعمل هذا الفريق السري المرتبط مباشرةً بنائب رئيس الجمهورية ورئيس لجنة شؤون النفط وتنفيذ الاتفاقيات صدام حسين وأمين سر اللجنة عدنان حسين الحمداني. وأعتقد أن مجلس قيادة الثورة والقيادة القطرية لم يكونا على علم بهذا الفريق السري.

كان فريق العمل المكلف بإعداد خطة تأمين النفط واستلام حقول النفط وإدارتها والإشراف على تسويق النفط المنتج منها بإشراف الدكتور فاضل الجليبي، ويتكون الفريق من مفيد مرزا (محاسب قانوني) والدكتور عبد الله السياب (جيولوجي) وعدنان الجنابي (باحث اقتصادي)، وفي إعداد صيغة قانون التأمين تم الاستعانة بباقر الجليبي (قانوني).

بعد فشل تأمين النفط في إيران عام 1951 على يد الدكتور مصدق، لم يكن أحد يتجرأ على مجابهة كارتيل النفط الدولي والحكومات المساندة له. وكانت مهمة الفريق الذي يقوده فاضل الجليبي تبدو للبعض مستحيلة. ولكنني سبق وأن أعددت مع الدكتور فاضل عباس مهدي دراسة مهمة قبل ذلك التاريخ تثبت إمكانية نجاح التأمين في الظروف المستجدة بعد عام 1951، خاصة عند ظهور الشركات النفطية المستقلة عن الكارتيل وحكومات عدد من الدول المستهلكة غير الخاضعة للكارتيل.

كان على فريق العمل القيام بمهمة المسح والإعداد لاستلام مرافق الإنتاج بالإضافة إلى وضع تصورات لسبل مواجهة الحصار العالمي المتوقع لأي صادرات نفطية مؤمنة، كما كان الفريق يعمل بشكل غير مباشر لخلق عقبات أمام التوصل إلى اتفاق حكومي مع الشركات. وكنت أنا مكلفاً بالتنسيق في هذا المجال مع محمد سعيد الصحاف (مدير عام الإذاعة والتلفزيون) وطارق عزيز (رئيس تحرير جريدة الثورة). كان فاضل الجليبي يزودنا ببواطن المفاوضات الرسمية ويضع هو وأنا ومفيد مرزه خطة التصعيد الإعلامي ووضع العراقيل أمام المفاوضات الرسمية. في ليلة يوم الأول من حزيران 1972 أخذ الدكتور فاضل الصيغة القانونية لمقترح للتأمين الذي توصلنا له ليعرضه على مجلس قيادة الثورة. وبقينا في حالة إنذار في مقر شركة النفط الوطنية، وتم إبلاغ المهندس ماجد الحمداني الذي كان عضو الارتباط مع العاملين في حقول كركوك والسيدة سميرة العزاوي (محاسبة قانونية) والتي كانت تعمل في مكتب بغداد لشركات النفط بالبقاء بالإنذار للخطوات القادمة واحتمال تنفيذ تأمين النفط.

عاد إلينا الدكتور فاضل الجليبي بعد منتصف الليل وأخبرنا بأن مجلس قيادة الثورة وافق على إعلان قانون التأمين المقترح من قبلنا صبيحة اليوم التالي. وأنه قام بعرض فني للبدائل المختلفة وأنه رفض طلب صدام حسين باستثناء الحصة الفرنسية (CFP) من قانون التأمين حتى لا تفتح

عقول وكفاءات عراقية

ثغرة في القانون للطعن بالتأميم. واقترح بدل ذلك أن توجه رسالة من الحكومة العراقية إلى الحكومة الفرنسية تتعهد فيها بالاحتفاظ بجميع الامتيازات السابقة لفرنسا عند تطبيق القانون.

وفي الساعة الرابعة فجراً تم استلام مكتب بغداد بمساعدة السيدة سميرة العزاوي وكنت أنا مع المجموعة التي استلمت الكتب. كما طلب من غانم عبد الجليل (محافظ كركوك) بحماية الحقول والتعاون مع المهندس ماجد الحمداني لمنع أي أعمال تخريبية قد يلجأ إليها عملاء الشركات.

كانت كل هذه الاستعدادات ودقة التنفيذ تعود إلى قيادة الدكتور فاضل الجليبي وإشرافه الشخصي والمباشر، وتجلت في تلك الظروف عبقرية هذا الرجل العظيم. ويعود نجاح تأميم النفط العراقي إلى شجاعة وعلم وقيادة الدكتور فاضل الجليبي.

بعد التأميم تم تكليفي بإدارة تسويق النفط الخام. ولم يكن الإشراف على عملي يتم من خلال نائب رئيس شركة النفط الوطنية السيد علي هادي الجابر ولا من رئيس الشركة بل من قبل الدكتور فاضل الجليبي، وكيل وزارة النفط.

بعد نجاح التأميم، وفي الاحتفال السنوي بالتأميم في الأول من حزيران 1973، ادّعى صدام حسين أن الدكتور فاضل الجليبي نصح مجلس قيادة الثورة بأن التأميم غير ممكن، وأنه هو الذي أصرّ على التأميم وأقنع مجلس قيادة الثورة بالتأميم.

أشهد للتاريخ أن صدام حسين لم يكن لديه أدنى فكرة عن التفاصيل التي كان فريق الدكتور فاضل الجليبي يعد لها، وأن عدنان الحمداني عندما كان يحضر اجتماعاتنا لم يكن سوى مستمع ولم يدخل في أي مرحلة من المراحل بالتفاصيل.

كما أشهد أن فاضل الجليبي كان يؤمن كل الإيمان بما كان يعدّ له وعمل فيما بعد على نجاحه. ويدين الشعب العراقي والدول المنتجة للنفط كافة بعبقرية فاضل الجليبي ودوره التاريخي في قلب موازين عالم النفط الذي انتقل تدريجياً بعد عام 1973 إلى السيادة الكاملة للدول على موردها الطبيعية وخاصة النفطية منها.

المشهد الثالث

في أكتوبر عام 1973 عبر الجيش المصري قناة السويس بعد اسقاط سد بارليف الذي أقامه الجيش الاسرائيلي على الجانب الشرقي من القناة، وتقدمت الجيوش المصرية في شبه جزيرة سيناء.

عقول وكفاءات عراقية

هبت الولايات المتحدة لإنقاذ إسرائيل من انهيار عسكري وسياسي وشيك، وقامت بمد جسور جوي لإيصال الأسلحة والطائرات والمعدات إلى إسرائيل، كما شارك عدد من الطيارين الأمريكيين (خاصة اليهود) بالتطوع بالجيش الإسرائيلي. أدى هذا الوضع إلى نجاح الجيش الإسرائيلي بفتح ثغرة بالدفاعات المصرية، وعبرت وحدات من الجيش الإسرائيلي قناة السويس بالاتجاه المعاكس وأخذت تتقدم باتجاه القاهرة غرباً.

في هذه الأثناء كان المجلس الوزاري لدول الأوبك يعقد اجتماعاً في الكويت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر). وهو الاجتماع الذي اتخذت فيه الدول قرارها التاريخي بالتسعير السيادي من طرف واحد دون الاتفاق مع الشركات. وكانت الشركات قبل ذلك التاريخ تقوم بتحديد الأسعار المعلنة (POSTED PRICES) من طرفها، ولا دور للأوبك سوى التفاوض على تعديلات طفيفة. وكان فاضل الجلي يقوم بالدور الرئيس في الإيجاز الفني للوزراء محدداً أوضاع السوق وإمكانيات التغيير وهكذا صارت الأوبك هي التي تحدد أسعار النفط منذ ذلك التاريخ.

في مساء ذلك اليوم طلب أحمد زكي يماني، وزير البترول السعودي، من عدد من الأشخاص موافقته بشكل سري في جناحه لأمر هام جداً وشملت الدعوة كل من فاضل الجلي (الأمين العام المساعد للأوبك) نور الدين آيت الحسين (مدير تسويق النفط سوناطراك الجزائرية) والدكتور نور الدين فراج (خبير مصري يعمل مستشاراً لوزارة النفط الكويتية) وعدنان الجنابي (مدير تسويق النفط الخام في شركة النفط الوطنية العراقية).

حوالي العاشرة مساءً التقينا في جناح أحمد زكي يماني الذي أخبرنا بأن "صاحب الجلالة" فيصل بن عبد العزيز يريد أن يتخذ قراراً بالتعاون مع من يؤيده في اجتماع الأوبك (OPEC) في اليوم التالي، باستعمال النفط كسلاح إلى الحد الذي يجبر الولايات المتحدة الأمريكية على إيقاف دعم إسرائيل وإجبارها على الانسحاب من غرب قناة السويس وإنقاذ القاهرة من التهديد العسكري الوشيك. وقال إن الملك ينتظر جواباً هذه الليلة وإنه لن ينام إلا بعد استلام صيغة الإجراء المطلوب. وأضاف يماني بأنه لن يشاركنا النقاش، وأنه سيتنظر منا التوجيه المطلوب لأنه كما قال لا يفهم أكثر منا في التفاصيل وأنه يتق بنا ولا يريد إرباك النقاش أو التأثير في الجانب الفني والتفاصيل.

كان نور الدين وأنا الوحيديين في دول الأوبك ممن لهم خبرة عملية في تسويق النفط، واتفق نور الدين معي بأن مقاطعة دولة بعينها لا تأثير له لأن النفط الخام مثل الأواني المستطرقة، والشركات تملك مصافي مشتركة في كل أنحاء العالم وأن عقودنا وطبيعة شركات الناقلات تسمح بتغيير اتجاهاتها كما تشاء، وبعد نقاش تم التوافق على أن الشيء الوحيد الذي يجعل

عقول وكفاءات عراقية

استعمال النفط كسلاح يؤدي إلى نتائج عملية هو تقليل الإنتاج فوراً. ودار النقاش حول نسبة تقليل الإنتاج في الصدمة الأولى وكيفية الاستمرار به. في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل تم صياغة القرار المطلوب إصداره من المجلس الوزاري للأوبك في اليوم التالي، وهو أن تخفض الدول المشاركة في القرار إنتاجها بنسبة 25% فوراً ومن ثم التخفيض بنسبة 5% شهرياً لحين نجاح الحصار وانسحاب الجيوش الاسرائيلية من غرب القناة.

قام الدكتور فاضل الجلي بصياغة القرار المتفق عليه وسلمه إلى أحمد زكي يمانى. في اليوم التالي صدر قرار الأوبك بنفس النص الذي صاغه فاضل الجلي وصوّت عليه جميع الحاضرين عدا العراق.

انسحب وزير النفط العراقي من الاجتماع (وانسحبنا معه انا والدكتور فاضل الجلي) وعقد سعدون حمادي مؤتمراً صحفياً لعنّ فيه السعودية وأحمد زكي يمانى "عميل أمريكا".

لقد أدّى قرار استعمال النفط كسلاح إلى إنقاذ القاهرة ومصر كما هو معروف تاريخياً. ولكن ربما هناك القليل من يعلم أن من صاغ القرار وأشرف على وضعه بالشكل الذي أراده الملك فيصل بن عبد العزيز هو الدكتور فاضل الجلي.

رحم الله الدكتور فاضل الجلي ذلك العظيم صاحب المواقف المبدئية والعقل العبقري الفذّ.

هذا قليل من كثير من مواقف لا تعدّ ولا تحصى لهذا الرجل العظيم الذي يليق بمن يعرفه وبمن لا يعرفه من العراقيين وشعوب الدول المنتجة للنفط والعرب جميعاً أن يخلد ذكراه. وسامح الله حكومات العراق المتعاقبة والتي حرمته حتى من حقه في راتبه التقاعدي!

رَحِمَ اللهُ أَبُو طَلِيْقٍ وَأَسْكَنَهُ فِسِيْحَ جَنَاتِهِ

(* اقتصادي عراقي، رئيس لجنة الطاقة في مجلس النواب سابقاً

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر. 2019/12/12.

<http://iraqieconomists.net/>